تقنيات الحجاج في الدرس اللّغوي العربيّ والغربيّ، ودورها في توجيه الخطاب

Pilgrims' techniques in Arabic and Western linguistic lessons, and their role in directing the discourse.

سهيلة سلطاني [1]، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، الجزائر .

ملخص:

يحمل الخطاب بين طيّاته بعدا حجاجيا خالصا، يتّخذ المرسل منه وسيلة تحقيق ما يطمح إليه من إقناع المتلقي بأهدافه وأفكاره، لاستمالته والتأثير فيه غاية في ترسيخ موقف أو فكرة؛ لذا نألفه يوظّف مجموعة من التقنيات الحجاجية التي تساعده على الاحتجاج لقضيته، وهذه التقنيات تمحورت عليها البلاغة الجديدة، فتراوحت بين آليات حجاجيّة لغويّة يلعب المكوّن اللغوي فيها دورا في تشكيل الخطاب الحجاجي وتوجيهه الوجهة التي يريدها المتكلمّ، مع ضمان اتساق النص، وانسجامه، وربط عناصره بالمعنى الكلّي للخطاب، لمدّ جسور التواصل بين الأطراف المتخاطبة، بالاعتماد على وظائف هذه العوامل في تحديد السياق التخاطبي، وبين آليات بلاغية يعمد المرسل إلى استغلال ما فيها من طاقات مجازية تمكّنه من إقناع المرسل إليه والتغيير في موقفه الفكري والعاطفي.

Abstract:

The speech carries a purely argumentative dimension in its folds, whereby the sender uses it as a means of achieving what he aspires to in terms of persuading the recipient of his goals and ideas, in order to win him over and influence it with a goal in establishing a position or idea. Therefore, we are familiar with him employing a set of pilgrimage techniques that help him to protest his cause, and these techniques revolved around the new rhetoric. The total discourse is to extend bridges of communication between the communicating parties, relying on the functions of these factors in determining the conversational context, and between rhetorical mechanisms that the sender intends to exploit the metaphorical energies that enable him to persuade the addressee and change his intellectual and emotional position.

[1] – المؤلف المراسل.

أولا: الحجاج في الدرس القديم:

ارتبط مفهوم الحجاج في الفكر القديم (الغربي والعربي) بالخطابة كما ارتبط مفهوم هذه الأخيرة بمفهوم البلاغة؛ إذ نجد تداخلا كبيرا بينهما يصل أحيانا إلى حدّ التطابق، ففي التقاليد الغربية اهتم **أرسطو Aristote (ت 322 ق.م)** بالإقناع وآلياته وأدواته فجعله أساس الخطابة وركيزتها، «فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل من الأمور المفردة»[2]، ثم عمد إلى ربط التعبير بالإقناع لبناء الفكر، إذ جعله وسيلة التواصل، «فالإنسان لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع، ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير»[3].

وعلى أساس من هذا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة هي: قسم البصر بالحجة، وفي العبارة العربية منذ الجاحظ وحتى شروح التلخيص تحمل معنى الظفر بالشيء والوقوع عليه. وقسم ترتيب الأقسام Tascis Dispositia وهو وضع كلّ واحدة في المكان المناسب لها. ثم قسم العبارة Lexis, Elocutio، وهي البحث عن اللفظ المناسب الذي به يخرج كلّ ما كان في الذهن والذاكرة إلى الوجود والفعل[4].

وقد تأثّر كل من جاء بعد **أرسطو** بنظريته في الحجاج؛ إذ مثّلت الرافد الذي تغذّت منه جميع النظريات الحجاجية إلى اليوم.

وإذا ما عدنا إلى الفكر العربي سنجد **الجاحظ (ت 255 هـ)**، من أوائل الذين أسّسوا لنظرية حجاجية إقناعية مكتملة الملامح؛ إذ أفاض الحديث عن الخطابة فاقترب بأشواط كبيرة في تفكيره من التفكير الحديث. والحجاج عنده مرادف للبيان الذي يمثّل غاية ووسيلة في آن واحد؛ «لأن مدار الأمر والغاية التي

---

(2) أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، (د.ط)، 1976م، ص 29.

(3) المصدر نفسه، ص 22-23.

(4) ينظر: حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب، منوبة، (د.ط)، (د.ت)، ص 13-16.

إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع» [5].

لقد أراد **الجاحظ** توليد ملكة قويّة للدفاع عن العرب من تلك الهجومات التي شنّها الشعوبيون وأصحاب الملل والنحل المختلفة، فأعلى من شأن حضارته؛ بل وأراد أن يبرز فضل العرب على غيرهم من الأمم بالبيان والتبيين، وضرب لذلك أمثلة كثيرة من القرآن الكريم، والشعر، والنثر، بالإضافة إلى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والتابعين، كما استشهد ببعض أقوال الأمم الأخرى ليبيّن تفوّق اللسان العربي على سائر الألسنة، والبيان عنده جاء بمعنيين، الأول: بمعنى معيار تقويم الكلام، والثاني: بمعنى الأداة الفعالة لإثبات إعجاز القرآن، ووسيلة التغلب عن أرباب الملل والنحل.

كما نجد مفهوم البيان عنده يتّسع أحيانا ليشمل البلاغة، ويتداخل أحيانا أخرى مع مفهوم الخطابة، التي يتداخل مدلولها مع مدلول البلاغة في كثير من الأحيان، لما لعبته من دور مهمّ لدى المتكلمين، إذ كانت وسيلتهم في الإقناع أثناء المنظرات والجدل، والاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل[6]، ثم يمضي في تفصيل أمور الخطابة التي مثّلت عنده أعلى صورة للبلاغة [7].

وقد تبع **الجاحظ** الكثير من العلماء، **فابن رشيق (ت 390 ه)** مثلا يرى أن الفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المتخاطبين فيقصد محابَّهم ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره [8]؛ لأن الخطيب الخبير هو الذي يهتمّ بمقام الخطاب، والظروف

---

[5] الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج1، ص 76.

[6] المصدر نفسه، ص 14.

[7] جاء حديثه عن الخطابة متناثرا في ثنايا الكتاب، فدأب الجاحظ في تأليفه أن ينتقل من قضية إلى أخرى ،ثم يعود إلى تلك القضية في مكان آخر من الكتاب، من أجل الترويح عن قارئه وشدّ انتباهه في الوقت نفسه؛ وحتى يرسخ فكرته بتأني، فلا تضيع في ثنايا الكتاب، فلقد افتتح كتابه بالحديث عن فضل البيان وذمّ العيّ والحصر، وفصّل في عيوب النطق، وتحدّث عن هيئة الخطيب، وخصاله وأثر ذلك في إقناع المتلقي والتأثير فيه بتغيير وجهة نظره، كما تحدّث عن الخطبة وخصائصها، والظروف التي يجري فيها الخطاب، فمهّد بذلك إلى تأسيس نظرية عربية تداولية مكتملة الملامح، بل إن فكر الجاحظ كان تداوليا بامتياز في جل مؤلفاته.

[8] ينظر: ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1881م ، ج1، ص 223.

المحيطة به من أجل حصول الفهم والإفهام.

ويمثّل القرآن الكريم حجَّة الحجج، والمتأمّل في آياته يجده خطابا حجاجيا لقيامه على ثنائيتي (الإقناع والتأثير) عن طريق وسيط اجتماعي هو اللغة، ردّا على أقوال المعاندين الجاحدين بالأدّلة المقنعة، كما خاطب المؤمنين القانتين وطمأنهم، بالإضافة إلى خطابه الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، وقد ذكر **عبد الله صولة** أن المخاطبين في القرآن الكريم نوعان اثنان:

«نوع يذكر داخل النص، وهو بدوره قسمان:

– قسم معين باسمه ولقبه أو بضمير المخاطب الذي يعينه كخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم...، ويمثلون في اصطلاح الحجاجيين (الجمهور الضيق).

– أما القسم الثاني فهو مثل الأول مذكور في القرآن ولكنه غير محدّد، وقد جعل ضمير المفرد عادة صورة نحوية لهم من قبيل قوله تعالى: ژ ۇ ۋ ۋ ۇ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ [الأعراف: 103].

– النوع الثاني يقع خارج النص القرآني ولا يذكر فيه، ولكنه معني به، وهو جمهور السامعين والمتلقّين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم، وهو ما يقابل في اصطلاح الحجاجيين الجمهور الكوني»[9].

ولقد ذكر **أبو بكر الباقلاني** (ت 403 هـ) أنّ القرآن الكريم يتوفّر على جميع أساليب العرب في كلامهم ليجعل ذلك حجّة عليهم، ثم يدعوهم إلى التحدّي ليبيّن عجزهم عن ذلك؛ «فالقرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه، من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوّره تصور المشاهد، وتشكله على جهته حتى يحلّ محلّ البرهان ودلالة التأليف ممّا لا ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعة»[10].

---

[9] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، جامعة منوبة، تونس، (د.ط)، 2001م، ج1، ص45.

[10] الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط3، (د.ت). ص 176.

فكلام الله عزّ وجلّ تختلف طريقته ووجوهه عن كلام الجن والإنس، وهذا ما حقّق له القدرة على التواصل في مختلف الأزمان، ففي كلّ زمن وفي كل حقبة يكشف وجها جديد من وجوه الإعجاز، إنّه دائم العطاء، لا ينفذ من المعاني المبتكرة السهلة الفهم والميسّرة للذكر، ولا يتفاوت بالانتقال من معنى إلى آخر، عكس كلام البشر الذي يتفاوت تفاوتا واضحا، فهو في علو وهبوط مستمرين.

ثانيا: الحجاج في الدرس اللغوي الحديث:

استقطبت نظرية الحجاج في الدرس اللغوي الحديث نتائج المباحث اللسانية والبلاغية والاجتماعية والنفسية...، ووسائل تشكيل الرأي العام وتوجيهه بصفة عامّة، وهذه المباحث تصب كلها وبعمق في الحقل التداولي Pragmatique، لذا فلا غرو أن يحتل الحجاج ونظريته بؤرة مشغل التداخل المعرفي interdisciplinarité وخاصة الحقل اللساني[11].

فالدراسات الحجاجية تتطرق إلى المتكلم وقصده والمتلقي وقدراته الاستيعابية، وإلى النص بأبعاده اللغوية والسياقية التواصلية، وكلّها تصبّ في صميم البحث التداولي، وعليه لا بدّ من الإشارة إلى بعض الجهود التي وقفت على هذا التداخل الذي أنتج لنا تداولية حجاجية، شغلها الشاغل معرفة مآل الخطاب، ونتائجه داخل المجتمع.

1. نظرية الحجاج لبيرلمان Perelman وتيتيكا Tytéca :

عمل **بيرلمان** و**تيتيكا** على تخليص الحجاج من الأبنية الاستدلاليّة المجردة التي كانت تهيمن عليه قديما؛ وعليه قدّما مفهوما للحجاج جعلاه «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع»[12].

يتّضح أن كلّ من **بيرلمان** و**تيتيكا** يجعلان يضعان في موضع وسط بين الجدل والخطابة التي يأخذ منها القدرة على جعل العقول تؤثر في المتلقي ذهنيا ثمّ عمليا، فيبعداه بذلك عن الاستدلالات المنطقية التي

---

(11) بنظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2008م، ص 175.

(12) Chain perlman et luicie olberchts Tytéca, traité de l'argumentation : la nouvelle réthorique, Presses universitaire de Lyon, 1981,p13.

تقبل الأحكام كما هي، بمعنى ربط الحجاج بالتواصل، بإخراج الاستدلالات من الحالة الذهنية إلى الحالة القولية العملية.

ورغم تداخل الخطابة مع الحجاج إلّا أنّه يختلف عنها في نظر **بيرلمان** من ناحيتين: أولهما نوع الجمهور، فلئن كان جمهور الخطابة حاضرا أمام الخطيب في فضاء مكاني محدد، فإن جمهور الحجاج متعدّد متنوّع يمكن أن يكون حاضرا، كما يمكن أن يكون غائبا، كالكتابة مثلا، وثانيها نوع الخطاب، فالحجاج يكون تلفّظيا شفويا أمام السامعين، مثلما يكون مكتوبا مقروءا متداولا بين جماعة المعنيين به، وهذا ما تركز عليه النظرية الحجاجية؛ لأن مجال إعمال العقل فيه تحليلا وتأويلا أوسع مما هو متاح في الخطابة التي تتميّز بالشفوية[13].

2- نظرية الحجاج في اللغة (الحجاج اللساني):

يقترن الحديث عن الحجاج في اللغة بأعمال كل من **أوزفالد ديكرو** O. Ducrot **وجان كلود أنسكومبر** J. Anscombre، لاسيّما في كتابهما "**الحجاج في اللغة**"، حيث ركّزا في دراستهما على بنية اللغة كأساس حجاجي.

ولقد انبثقت هذه النظرية من داخل نظرية الأفعال الكلامية، حيث اقترح **ديكرو** إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج[14]، والحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وترتبط بطريقة منتظمة ودقيقة، فتدعم بذلك بعض الحجج بعضها الآخر[15].

هذا يعني أنّ المحتج يذكر بعض الحجج، ويترك الآخر ضمنيا أو غائبا، فيكون على المتلقي كشفها والوصول إليها باعتماده البنية الحجاجيّة للغة ودور المتكلمين في ذلك.

1- التداولية المندمجة:

يشير **ديكرو** و**أنسكومبر** إلى أن ظهور التداولية المندمجة تلخّص مضمونه العبارة المركزة للساني

(13) ينظر: محمد سالم محمد أمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 110.

(14) أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج مفاهيمه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج حدود وتعريفات، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ج1، ص 57.

(15) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2001م، ص 23.

كليتولي: «إن التداولية يجب إدماجها في الوصف الدلالي، وليس فقط إضافتها إليه»[16]، فالتداولية المندمجة يمكن اعتبارها إطارا نظريا بديلا للمعالجة الدلالية الكلاسيكية، والنسخة التحليلية الإنجليزية للتداوليات، فالرهان في التداولية المدمجة يرتكز على إدماج الظواهر التداولية في صميم الدراسة اللسانية الدلالية [17].

فالحجاج في اللغة هو حجاج تداولي دلالي، وعليه يكون «الإطار العام الذي تتموضع فيه نظرية ديكرو وأنسكومبر هو إعادة النظر في الاعتقاد القائل بوجود تعارض بين الدلالة والتداولية، كما نظر إليها الفلاسفة الإيجابيون الجدد، خاصة الأمريكيون منهم، وهذا ما لحظناه في تقسيمه لعلم العلامات إلى تراكيب ودلالة وتداولية»[18].

وتبقى النظرية الحجاجية من وجهة نظر لسانية تُعنى بالأبنية الحجاجية، وبرد فعل المتلقي وتدخلاته، «لأن جل الدراسات تؤكد وجود عناصر براغماتية في الحقل الدلالي من جهة...، ومن جهة أخرى، فإن البراغماتية لا تتعلق فقط بالظاهرة التأويلية، ولكن أيضا بالتعلق الأساسي للتواصل داخل اللغة الطبيعية بين المتكلم، والسامع، والسياق فوق اللساني»[19].

وهكذا يقصى كل من **ديكرو** و**أنسكومبر** العنصر التركيبي، ويدمجان كل من العنصر الدلالي والتداولي بمفردات اللغة، فيشكلان بذلك نسقا لتركيب الأقوال وترابطها، بحيث أن هذا الترابط «لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنما هو ترابط حجاجي، لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفة علاقات توجه القول وجهة دون أخرى، وترفض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية، تمثّل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله

---

(16) رشيد الراضي: الحجاجات اللسانية والمنهجية، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج مدارس وأعلام، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م ، ج2، ص 83.

(17) المرجع نفسه، ص 106.

(18) عمر بلخير: الخطاب الصحافي المكتوب، دراسة تداولية، دار الحكمة الجزائر، (د.ت)، 2009م، ص 167.

(19) محمد سالم محمد أمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 192.

وجهة حجاجية ما»[20].

فالحجاج في هذا المقام مرتبط بالبنية اللغوية في حدّ ذاتها، وليس بالمحتوى القولي، وهذه البنية اللغوية تحمل شحنة حجاجية تتلاءم والسياق الذي وظّفت فيه.

وتهتمّ التداولية المندمجة أساسا بالمستويين اللغوي والبلاغي، حيث تحلّل في الأول دور الوحدات التركيبية من أدواة ربط وحذف وتأكيد وعطف... في المؤثرات المعنوية والدلالية، في حين تحلّل في الثاني علاقة الدلالة بالمقام وعناصره البشرية وغيرها، وما بينهما من علاقات وأيضا آثار السياقات، خارج النصية في كل ذلك[21].

2- نظرية السلالم الحجاجية:

تترتّب الحجج في الخطاب بحسب قوّتها وثباتها ودرجة تأثيرها على المتلقي، «ويشير ديكرو إلى أنّ الحجج بمختلف أنواعها تعرف تراتبا معيّنا يكون متسلسلا في الدرجة، بحيث يكون الحكم والاختيار من قبل المعنى مؤسسين على درجتي القوة، وليس الصدق والكذب»[22]، وهذا التراتب هو الذي يمنح الحجج طبيعة سلمية يطلق عليها السلم الحجاجي، الذي أمكن تعريفه بأنه: «عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن الموجود في الظرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه، ثم يذكر ثلاثة قوانين للسلم الحجاجي هي: **"قانون الخفض"**، **"قانون تبديل السلم"**، **"قانون القلب"**»[23].

ومقتضى القانون الأول، أنّه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في

---

(20) شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب، منوبة، (د.ط)، (د.ت)، ص 352.

(21) ينظر: محمد سالم محمد أمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 194.

(22) المرجع نفسه، ص ن.

(23) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص277.

المراتب التي تقع تحتها، أمّا مقتضى القانون الثاني، أنّه إذا كان القول دليلا على مدلول معيّن، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله، أمّا مقتضى قانون القلب، أنّه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في الدليل على نقيض المدلول[24]، وهكذا تبنى السلالم الحجاجية على درجة القوّة بين الدليل ومدلوله.

ثالثا– حجاجية العوامل اللّغوية:

تتمحور البلاغة الجديدة أساسا على تحليل "**تقنيات الحجاج**"، وهذه التقنيات يتمّ بسطها على محورين كبيرين، من جهة محو الخطاب ذاته، خاصة بنية الحجاج الموضوعة موضع التنفيذ، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقي، وذلك في علاقته بقصدية منتج الخطاب، ففي الحالة الأولى تجري دراسة الحجج وتصنيفها، وفي الحالة الثانية تتمّ دراسة الموقف التواصلي الذي يمثل حدث الحجاج "Acte Dergument" [25].

ويلعب المكوّن اللغوي في تشكيل الخطاب الحجاجي دورا مهمّا، فكلّ ملفوظ لغوي يشكّل حجّة تساعد المخاطب على إقناع المخاطَب بأفكاره، ولقد «أشار ديكرو وأنسكومبر، أثناء صياغتها لـ"النظرية الحجاجية في اللغة"، إلى ظاهرة لغوية جد مهمة تتدخل بطريقة مباشرة، في توجيه الحجاج الوجهة التي يريدها المتكلّم، فهي عناصر لغوية تلعب دورا أساسا في اتساق النص وفي ربط أجزائه والمعنى، ويسميها ديكرو الروابط الحجاجية» [26].

وقد فسر الأصوليون عملها وقيمتها في تحديد معاني الخطاب؛ بل إن توظيفها ذا مرامي استدلالية إقناعية مرتبطة بوظائف اللغة، ما يجعل عملها داخل الخطاب متنوعا بتنوع وظائف اللغة ومقاصد المتكلم.

---

[24] المرجع نفسه، ص 277- 278.

[25] فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، (د.ط)، (د.ت)، ص 46.

[26] عمر بلخير: الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، ص 172-173.

وتحمل هذه التقنيات اللغوية مجموعة المقاصد والمعاني التي لا يمكن الولوج إليها إلّا عن طريق اللغة، التي يُعتمد عليها في ربط جسر التواصل بين مؤسّس الخطاب ومستقبله، وللأدوات اللغوية معاني متنوّعة يستطيع المرسل الاستفادة منها أثناء محاججته بما يتناسب مع السياق الحجاجي، «فيعمد إلى توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة. وقد صنف العرب بعضا منها في أعمالهم التي تركز على تلك المعاني، مما أكسب الخطاب ثراء التنوع، ومكن المرسل من حرية الاختيار، حسب ما يتطلبه السياق»[27].

ومن أهمّ العوامل الحجاجية التي لا معنى لها دون توظيفها في الخطاب، والتي توكل بمهمة الإقناع، مع ضمان ارتباط المقدّمات الحجاجية بالنتائج التي يكشفها التواصل الخطابي، ما يلي:

1- حجاجية ألفاظ التعليل:

تلعب ألفاظ التعليل دورا مهما في الترابط الحجاجي، إذ تمثّل حجّة جوهرية تستخدم لإقناع المتلقي أو إفحامه، وخاصة عند ربطها المعطى بالنتيجة التي تبنى على قصدية منتج الخطاب، ويندرج هذا النوع من الحجج حسب تصنيف **ببرلمان وتيتيكا** لتقنيات الحجاج ضمن الحجج "**المؤسسة لبنية الواقع**"، والتي توظّف من أجل ربط أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها، ثم إقناع المتلقّي بها، وهكذا يتم تفسير الواقع بالانطلاق من أشيائه وربطها بالفكرة التي تدور في ذهن مؤسّس الخطاب، كما تعدّ هذه الروابط من أشكال التسلسل الحجاجي الذي يقوم على علاقة سببية بين الظاهر من الخطاب والمضمر منه، وهذا ما يكسبها بعدها الحجاجي، ومن أهم هذه الروابط ما يلي:

*الرابط الحجاجي "لأن":

يمثّل هذا الرابط أهمّ الروابط الحجاجية: «فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه، وتستعمل لتبرير القول، كما تستعمل لتبرير عدمه»[28]، ونجد هذا الرابط بكثرة في الخطابات؛ لوظيفته في

[27] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م ، ص 477.

[28] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 418.

تقديم الحجج وبنائها من الأضعف إلى الأقوى.

ويوُظّف هذا الرابط بصورة متواترة في الخطاب حيث ينتقل من الواقع ليفسّر به أشياءه، لكي يبدو حجاجه أكثر إقناعا عن طريق الحجة النفعية "البراغماتية"، «التي تربط قيمة السبب بقيمة نتائجه؛ أي الانتقال من قيمة مرتبطة بالثمرة إلى قيمة مرتبطة بالشجرة» [29]، ولقد أكّد **بيرلمان** نجاعة هذه الحجّة البراغماتية في توجيه الفعل والحمل على الإذعان، مؤكّدا أن تقويم الحدث بنتائجه العملية أمر لا يحتاج إلى مبرّر آخر ليستقيم، ولكن يستطيع المتلقي مع ذلك دفعها متى احتجّ بأن الحقيقة تستمدّ قيمتها من ذاتها، هذه القيمة التي تبقى ثابتة مهما كانت نتائجها [30].

***الرابط الحجاجي "لام التعليل":**

يوظّف المحتج هذا الرابط لتدعيم حججه ولتأثيره في المرسل إليه، بالربط بين القضية المطروحة والنتائج المتوصل إليها، إنّ توظيف ألفاظ التعليل يسمح بتقوية العلاقة بين الحجج عن طريق إعطاء خلاصة نهائية للمقدّمات التي يضعها المحتج، والتي سينطلق منها مجدّدا لتعليل أمور أخرى عالقة في ذهنه باتباع طريقة استراتيجية تحوّل النتائج إلى معطيات توصلنا إلى نتائج جديدة.

ويفيد توظيف "لام التعليل" توجيه الخطاب من جهة كانت مجهولة إلى جهة أخرى يريد المخاطب أن يفسر من خلالها تلك الجهة المجهولة.

***الرابط الحجاجي " لا":**

يعد النفي "La Négation" بـ **"لا"** من الصيغ التعبيرية التي لها دور حجاجي أثاء طرح القضايا، وفي هذا الشأن يقول **عبد الله صولة:** «فالنفي إنما هو ردّ على إثبات فعلي محتمل حصوله من قبل الغير، فقد كان برقسون يرى أن الفكر السالب La Pense Negative لا يكون في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقا بمواجهة الغير، أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج» [31] .

---

[29] المرجع نفسه، ص ن.

[30] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، ص 220.

[31] عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، من خلال: "مصف في الحجاج– الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتكاه ضمن كتاب:

ويأتي النفي لتأكيد النتيجة، فإذا ما حاولنا إثبات الحجج، فإنّ هذا سيصبح له دليلا نقيضا للمدلول الأول فإذا "كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه (أي ~ أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة" (32)، وهذا هو ما يسميه **طه عبد الرحمن** "قانون تبديل السلم"؛ أي قلبه فإذا كانت الحجة "أ" أقوى دليلا من الحجة "~أ" في النفي فإن في الإثبات ستكون الحجة "~أ" أقوى دليلا من الحجة "أ".

*الرابط الحجاجي "بل":

يعدّ الرابط الحجاجي "بل" من أهم الروابط الحجاجية التي يعتمد عليها المرسل في ترتيب حججه في السلم الحجاجي وتكمن حجاجيتها في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم، بما يمكن تسميته بالحجج المتعاكسة، وذلك بأن بعضها منفي، وبعضها مثبت، «وبل حرف إضراب. وله حالان: الأول: أن يقع بعده جملة. والثاني أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعد جملة كان إضرابا عما قبلها، إما على جهة الإبطال...، وإما على جهة الترك للانتقال، من غير إبطال...، وإذا وقع بعد بل مفرد فهي حرف عطف، ومعناها الإضراب، ولكن حالها فيه مختلف... فإن كانت بعد نفي... فهي لتقرير حكم الأول، وجعل ضدّه لما بعدها...»(33).

*الرابط الحجاجي "لكن":

يتحقّق الحجاج بواسطة الروابط الحجاجية، التي تضفي كذلك القوّة عليه، ويؤكد كل من **فيغلون** و **ديكرو** و**أنسوكمبر** أن «لكن mais. .. لا يمكن الوقوف على نجاعته الحجاجية إلا عند إدماجه في التخاطب، وتحديدا في أي خانة من خانات استعمال اللغة (وصف الواقع، التعبير عن منطق فكرنا وترابطه، التحكم في آليات التخاطب) »(34)، حاصرين إياها في الغاية الحجاجية، وهي عند كل من **روبور** و**موشلار**

أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس، كلية الآداب منوبة، (د.ط)، 1998م، ص 320 -321.

(32) أبو بكر العزاوي: الحجاج في اللغة، ص 60.

(33) الحسن بن قاسم المرادي: الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوه، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص 235 -236.

(34) عز الدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1،2011م، ص19.

حجاجية مضادة تعمل على التحكم في آليات التخاطب[35].

و«لكن للاستدراك بعد النفي، أي رفع توهم ناشئ من الكلام السابق، وهي إن كانت مخففة فهي عاطفة وإن كانت مشددة فهي مشبهة مشاركة للعاطفة في الاستدراك»[36]، تسهم في توجيه الحجاج نحو درجة القوة، كما تعمل على خلق نوع من التواصل بين المرسل والمرسل إليه، والأكثر من هذا كلّه يعدّها علماء اللغة مدخلا منطقيا لتأسيس الخطاب.

2- حجاجية الوصف:

يحتلّ الوصف دورا مهمّا في عملية الإقناع؛ إذ يتّخذ منه المرسل وسيلة للحجاج، ويشمل الوصف مجموعة من الأدوات اللغوية التي تعمل على تركيب أجزاء الخطاب وبناء الحجج، والمتتبّع للدرس اللغوي القديم يقف على دور هذه الأدوات في بناء الخطاب وتماسكه وانسجامه، وفيما يلي عرض لأهمّها:

*الصفة:

تعدّ النعوت أداة للفعل الحجاجي؛ إذ باستطاعتها توجيهه نحو الوجهة التي يريدها المرسل، كما أنّها تمثّل حجّة في حدّ ذاتها، والصفة «هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات نحو طويل وقصير وعاقل وأحمق وقائم...، والذي تساق له الصفة هي التفرقة بين المشتركين في الاسم، ويقال أنها للتخصيص في النكرات والتوضيح في المعارف»[37].

وتُطلَق النعوت في مختلف الخطابات لأداء وظيفة حجاجية غايتها توضيح مواقف المخاطب وتفسيرها وإجلاء الغموض عن ذهن المخاطب، وينتج النعت «عن انتقاء واضح لصفة نبرزها ويفترض فيه أن يتم معرفتها» [38].

---

[35] المرجع نفسه، ص22.

[36] محمود سعد: حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، منتدى سوق الأزبكية، ص114، WWW. BOOKS4ALL.NET

[37] ابن يعيش: شرح المفصل، صحح وعلق عليه: مشيحة الأزهر المعمور، إدارة الطبعة المنيرية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ج3، ص 46.

[38] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، ص 187.

***اسم الفاعل:**

يعدّ اسم الفاعل من أبرز الأدوات التي تلعب دورا بارزا في عملية الحجاج، لما له من صفات تؤهّله للقيام بتوجيه وبناء الخطاب، عن طريق وصفه للمعنى بطريقة مبالغ فيها، واسم الفاعل «صفة تؤخذ من الفعل المعلوم لتدلّ على معنى وقع من الموصوف بها، أو قام به على وجه الحدوث لا الثبوت»[39]، ويدلّ معنى الموصوف على أنّ الموصوف متجدّد، وهذا التجدّد يزيد قوّة الحجج ويزيد الخطاب تماسكا وانسجاما، ويحاجج المخاطب بهذا الوصف «ليسوّغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتنبي عليه النتيجة التي يرومها»[40]، وهذا راجع لعلاقته الوطيدة بالفعل، فهو في أبسط تعريف له: «ما يجري على الفعل من فعله كضارب ومكرم ومنطلق ومستخرج ومدحرج، ويعمل عمل الفعل في التقديم والتأخير والإظهار والإضمار، كقولك زيد ضارب غلامه عمرا وهو عمرا مكرم، وهو ضارب زيد وعمرا، أي ضارب عمرا»[41].

***اسم المفعول:**

يلعب اسم المفعول دورا مهمّا في بناء الحجاج؛ إذ يعدّ من أبرز الروابط الحجاجية التي تدخل في توجيه الحجاج، وتساعد على اتساق النص وانسجامه، واسم المفعول «صفة تؤخذ من الفعل المجهول للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها»[42]، ويساعد الموصوف على استمرارية النص، كما يساهم في الاتساع والتدّرج والانسجام التلفظي والتداولي.

ويضيف اسم المفعول على الخطاب انسجاما كليّا وهذا عائد إلى قيامه بعمل الفعل، ومعناه «مأخوذ من الفعل وهو جارٍ عليه في حركاته وسكناته وعدد حروفه كما كان اسم الفاعل كذلك، فمفعول مثل يفعل كما أن فاعل مثل يفعل...، وهو يعمل عمل فعله الجاري عليه، فنقول هذا رجل مضروب أخوه»[43].

وعندما يبثّ المرسل خطابه فإنّه يسعى إلى تغيير معتقدات، وعن طريق اسم المفعول يتسنّى للمتلقي

---

(39) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، تعليق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل العقباوي، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص 160.

(40) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 488.

(41) ابن يعيش: شرح المفصل، ج6، ص 68.

(42) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ص 162.

(43) ابن يعيش: شرح المفصل، ج6، ص 80.

الربط بين القضية المطروحة والنتيجة.

3: حجاجية الآليات البلاغية:

لقد زادت أهمّية الوسائل البلاغية بظهور البلاغة الجديدة، وذلك لتوجّهها إلى استغلال ما فيها من طاقات مجازية تساعد في كشف المعنى وحيثياته، كما تساعد على تماسك أجزاء الخطاب وتلاحمها، «على اعتبار أن المجاز يحدث في الكلام ما يسميه النحو التوليدي بخرق قواعد الانتقاء الدلالي، كما تظهرها قواعد الإسقاط في المكون الدلالي، يمكن وضع المجاز في باب العدول النوعي النسقي، لكن على اعتباره استبدالا Substitution كما هو عند أرسطو، وعند العرب أيضا يمكن وضعه في العدول الجدولي فهو خروج من الحقيقة إلى غيرها، ويمكن وضعه على محوري المشابهة والمجاورة»[44].

ولقد حذّر **شايم بيرلمان** من خطر استغلال الأشكال البلاغية الجاهزة؛ لأن هذا الإسراف كان عاملا من عوامل انحطاط البلاغة، والنظر إليها بوصفها آلة إقناع عابرة Ephémère وذلك مما جعل تلك الأشكال البلاغية هدفا في حد ذاتها، وهو ما أفقد اللغة قدرتها على نقل الوقائع ورسم المستقبل وإحداث الإثارة الفنية الكفيلة بخلق ثنائية الإقناع والفعل [45].

*الاستعارة:

لقد وضع الباحثون الاستعارة في المقام الأول في الحجاج لما تحتويه من شحنة دلالية إقناعية تمكّن المرسل من نفس المتلقي، ولقد جاء في أسرار البلاغة: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير

---

[44] عبد الله صولة: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، الحجاج حدود وتعريفات، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ج1، ص 41.

[45] محمد سالم محمد الأمين الطلبة : مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، العدد2، 2000م، ص 85.

ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون كالعارية»[46].

ويعود الفضل **لعبد القاهر الجرجاني** في إعطاء الاستعارة بعدها الحجاجي، فالشاعر أو غير الشاعر ينقل الصورة من وضعها الأصلي إلى وضع جديد يريد إقناع المرسل إليه به، فتتحوّل تلك الصورة إلى حجّة، ومنه يمكن القول بأنّ الاستعارة عند الجرجاني هي حجّة.

والاستعارة الحجاجية عنده هي الاستعارة المفيدة التي تمكّن من تصوير ما في النفس للغير، يقول: «فالاستعارة المفيدة تلعب دورا أساسيا في البناء الشعري، ولولاها لم يحصل لك ما تريد تصويره، أما الاستعارة غير المفيدة، فهي لا تعدو أن تكون تلاعبا بالألفاظ»[47].

وقديما ميّز **أرسطو** بين ثلاثة أنواع من الاستعارات هي:

الاستعارة الجمهورية التي تهدف إلى الإبلاغ، والاستعارة الحجاجية التي تهدف إلى تغيير الموقف العاطفي والفكري للمتلقي، والاستعارة الشعرية التي لا تهدف إلا لذاتها ولا تُحيل إلا على ذاتها[48].

فالاستعارة الحجاجية عنده تهدف إلى التغيير، والتغيير يكون من أجل إقناع بموقف جديد يريد المرسل ترسيخه في ذهن المتلقي.

وقبل الجرجاني تفطن **الباقلاني** لدور الاستعارة الحجاجي عندما عقد فصلا في وصف وجوه البلاغة، والتي قسّمها بدورها إلى قسمين، يقول: «واعلم أن الذي بيناه قبل هذا وذهبنا إليه هو سديد، وهو أن هذه الأمور تنقسم:

فمنها ما يمكن الوقوع عليه، والتعمل له، ويدرك بالتعلم، فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز

---

[46] عبد القاهرة الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص 28.

[47] المصدر نفسه، ص 173.

[48] ينظر: عمر أوكان: اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2001م، ص 131.

القرآن به، وأما ما لا سبيل إليه بالتعلم والتعمل من البلاغات، فذلك هو الذي يدل على إعجازه» [49].

وتعدّ الاستعارة البديعة عنده من وجوه البلاغة التي يصحّ أن يتعلّق بها الإعجاز يقول: «والاستعارة و البيان في كل واحد منهما ما لا يضبط حده، ولا يقدر قدره، ولا يمكن التوصل إلى ساحل بحره بالتعلم، ولا يتطرّق إلى غوره بالتسبّب. وكل ما يمكن تعلمه، ويتهيأ تلقّنه...، فلا يجب أن يطلب وقوع الإعجاز به»[50].

وقد زادت قيمة الاستعارة بظهور البلاغة الجديدة، ومع العلم المعرفي ونظريات التواصل والتداولية والحجاج، ومنه أكّد **بيرلمان** على الدور الحجاجي للاستعارة، وعلى أهمّيته في كل المجالات الإنسانية، حيث إنّ «أي تصور للاستعارة لا يلقي الضوء على أهميتها في الحجاج، لا يمكن أن يحظى بقبولها، إلا أننا نعتقد أن دور الاستعارة سيتّضح أكثر بربطه بنظرية التناسب الحجاجي...، إننا لا نستطيع في هذه اللحظة وصف الاستعارة إلا باعتبارها تناسبا مكثفا ناتجا عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له»[51].

كذلك يرى **طه عبد الرحمن** أنّ الاستعارة هي لُبّ الحجاج؛ لأنّها تساعد على تقريب المعنى إلى الذهن، ثمّ يؤكّد أن: «العلاقة الاستعارية هي أدل ضروب المجاز على ماهية الحجاج»[52].

***التمثيل:**

أَوْلَت الدراسات اللغوية الحديثة عناية كبيرة بالتمثيل الحجاجي، وفي هذا الشأن يقول **بيرلمان:** «هو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بالمشابهة دائما، وإنما

(49) الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 275.

(50) المصدر نفسه، ص 156.

(51) محمد الولي: الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان، ص 7، نقلا عن:
http://www.aljabriabed.net/n61alwali.htm

(52) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 233.

يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة» [53].

ويعمد المرسل للتمثيل لعقد صلة بين صورتين بشكل غير مباشر، لإحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقّي، ولقد تفطّن **عبد القاهر الجرجاني** إلى حجاجية التمثيل في وقت مبكّر من الدراسات اللغوية، ونلمح ذلك في قوله: «وأعلم أن ممّا اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهه، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وفسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم...، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر...» [54].

كذلك فرّق بين التمثيل والتشبيه، فكّل تشبيه عنده هو تمثيل وليس كلّ تمثيل تشبيه، يقول: «فاعلم أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل» [55].

وهناك من العلماء من لم يفرّق بينهما **كابن الأثير** (ت637 هـ) مثلا، وهذا ما يؤكّده قوله: «وجدت علماء البيان قد فرقوا بينهما في أصل الوضع، يقال شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال مثلته به» [56].

***التشبيه:**

يعدّ التشبيه من الآليات الحجاجية التي يعوّل عليها المرسل في إقناعه المرسل إليه، وذلك لتقريبه المسافة بين ما هو محسوس وما هو ملموس، ولتقريبها للعقل وحمله على الاستنتاج، وذلك هو مناط الحجاج الذي تفطّن إليه **عبد القاهر الجرجاني**، يقول: «التشبيه قياس، والقياس فيما تعيه القلوب وتدركه

[53] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، 2006م، ص 97.

[54] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ص 92-94.

[55] المصدر نفسه ، ص85.

[56] ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983م، ج2، ص 132.

العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان»[57].

هذا يعني أنّ للأقيسة البلاغية طاقات حجاجية تحمل المتلقي على استنتاج وتأويل قصد المرسل والهدف من بثّ خطابه، وهنا تتجلّي القيمة التداولية بصورة واضحة.

***الكناية:**

للكناية دورها في الحجاج، فهي تمثّل الدليل الذي يثبت المعنى ويؤكّده، فمن أجل إقناع المرسل إليه بفكرة ما يلجأ المرسل للكناية، حتّى يكون كلامه أبلغ من الإفصاح وأشدّ قوّة وتمكّنا، ويشترط علماء البيان أن يكون هناك علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فالمعنى الأول يستنتج من معنى الثاني، فقولنا: "فلان كثير الرماد"، هو معنى مجازي أريد به معنى حقيقي وهو كثرة الجود والكرم، لأنّ كثرة الجود تستلزم كثر الطهي، وكثرة الطهي تستلزم كثرة الضيوف.

ولقد عدّت الدراسات الحديثة "الكناية" رابطا حجاجيا غير مباشر يربط بين عناصر من الواقع، لذا أُدمجت ضمن الحجج المؤسسة لبنية الواقع، «ولا يعتبر بيرلمان الكناية صورة أسلوبية، وإنما ينظر إليها كحجة، وذلك على عكس ما تقوله التقاليد الأدبية، إنها تنبني كما يقول على شاكلة المماثلة، والتي هي تكثيف لها يعمل بفضل الإدماج بين الموضوع والمثيل، لذلك نجد بيرلمان يستخدم عبارة أرسطو "مساء الحياة"، والتي يقصد بها التقدم في السن، ويراد منها الإقناع بأنها النهاية»[58].

***الطباق:**

يوظّف المرسل مجموعة من المحسنات البديعية التي تؤدّي وظيفة حجاجية، بشريطة أن يتجاوز المستوى الشكلي الزخرفي إلى الإقناع والتأثير، «والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانات، ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية، وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها، وإن كان لا يمنع المرسل أن يبدع كيفما يشاء» [59].

---

[57] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 15.

[58] فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ص 56.

[59] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 498.

وتستعمل هذه الوسائل لتبليغ رأي أو قضية، وهذا ما يضفي عليها صبغة حجاجية، «وتهدف الوجوه البلاغية إلى إبراز حضور ما وتوكيده، أو تلطيفه كما تجلو للعيان، وتكون ضربا من الزخرف إذا لم توظّف في خدمة الحجاج» [60].

خاتمة:

يتضح أخيرا أن العنصر الحجاجي ليس مجرّد ظاهرة إقناعية تسعى إلى تغيير المواقف؛ بل هو إستراتيجية تخطابية تواصلية تسعى جاهدة إلى خلق رأي مشترك بين المرسل والمرسل إليه، بتوظيف جميع القدرات اللغوية والبلاغية التي تُسعفه إلى جلب اهتمام المتلقّي وتحفيزه على التصديق، أو حمله على الإذعان، وبتتبع خطة تواصلية تسعى إلى تغيير موقف أو قضية.

[60] محمد علي القارصي: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب، منوبة، (د.ت)، (د.ط)، ص397.